المظاهر النحوية وآثارها الدلالية على الوقوف والابتداءات الهبطية، سورة يوسف أنموذجا"

الجابري منصوري

جامعة: عمار ثليجي، الأغواط.

ملخص البحث:

يعتبر علم الوقف والابتداء من بين أشرف العلوم وأفضلها لارتباطه بالقرآن الكريم، ولا يخفى على الدارسين علاقته المتينة بالنحو والمعنى؛ ولهذا فإنّ هذا البحث يسعى إلى استنباط المظاهر النحوية وآثارها الدلالية على الوقوف والابتداءات الهبطية، كما يسعى-كذلك- إلى الكشف عن منهجية الهبطي في الوقف والابتداء، وذلك من خلال سورة يوسف، ولتحقيق هذا المسعى اعتمدنا على علماء الوقف والابتداء، وآراء النحاة والمفسّرين.

الكلمات المفتاحية:

النحو، المعنى، الدلالة، الوقف، الابتداء، الهبطي.

Résumé de l'étude:

La science d'arrêt et du commencement représente une science noble à cause de son association avec le Coran.A travers cette étude on cherche de montrer l'aspects syntaxiques et leurs effets sémantiques sur les arrêts et les commencements habatiens, et de présenter également cette méthode habatien dans l'arrêt et le commencement, pour les appliquer dans sourate youssef comme modèle. Pour cela, on a adopté sur la littérature de l'arrêt et du commencement, et l'avis du syntaxists et d'interprètes.

Mots clés :

Grammaire, sens, sémantique, arrêt , commencement, habatiens.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1684

تمهيد:

إنّ من أشرف العلوم وأفضلها ما كان فيه خدمة للقرآن الكريم، ومن هذه العلوم: علم الوقف والابتداء، وهو علم "يعرف به كيفية أداء القرآن الكريم، ويترتب على ذلك فوائد كثيرة، واستنباطات غزيرة، وبه تتبين معاني الآيات، ويؤمن الاحتراز عن الوقوع في المشكلات"[1]؛ وهو "حلية التلاوة، وزينة القارئ، وبه يعرف بين المعنيين المختلفين، والنقيضين المتباينين، والحكمين المتغايرين"[2]؛ ولأجل هذا كان محلّ عناية رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- وصحابته رضي الله عنهم.

ولا شكّ في أنّ القارئ يضطرُّ إلى الوقف؛ لأنّه "لا يمكن له أن يقرأ السورة، أو القصَّة في نفس واحد، وجب حينئذ اختيار وقف للتنفس والاستراحة، وتعين ارتضاء ابتداء بعد التنفس والاستراحة، وتحتّم أن لا يكون ذلك مما يُخلّ بالمعنى ولا يُخلّ بالفهم، إذ بذلك يظهر الإعجاز ويحصل القصد"[3].

ونظرا لحاجة طلاب العلم، وحفظة الكتاب المبين إلى علم الوقف والابتداء، وددت أن أبيّن علاقته المتينة بالنحو والمعنى؛ وعلى هذا جاء البحث موسوما بـ:"**المظاهر النحوية وآثارها الدلالية على الوقوف والابتداءات الهبطية، سورة يوسف أنموذجا**". وقد اخترت الوقف الهبطي لأنه هو الوقف المعتمد في الجزائر، حيث توارثناه جيلا عن جيل.

أمّا الأسباب العلميّة التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع فيمكنني تلخيصها فيما يلي:

1- قلة الدراسات الأكاديمية التي تجمع بين النحو والدلالة والوقف والابتداء.

2- إبراز مكانة الشيخ الهبطي في اللغة والنحو العربي.

3- تبيين منهجية الشيخ الهبطي في الوقف والابتداء.

هذا، وأسأل الله التوفيق والسداد، كما أسأله القبول والإخلاص، وأن ينفع بهذا العمل صاحبه وسائر المسلمين.

أولا: بعض القضايا التي تتعلق بالوقف والابتداء:

1- تعريف الوقف لغة واصطلاحا:

- لغة: هو"الحبس والمنع"[4]، وقيل هو"الكف عن الفعل والقول"[5].

- اصطلاحا:هو "عبارة عن قطع الصوت على الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة"[6].

وبجانب مصطلح الوقف يوجد مصطلحان آخران هما:"القطع والسكت"، والفرق بين الوقف والقطع والسكت هو[7]:

- الوقف والسكت يكونان بنية استئناف القراءة، والقطع يكون بنية الإعراض عنها.
- الوقف والقطع يكونان بالتنفس، ولا تنفس في حالة السكت.
- مقدار السكوت في الوقف حركتان، وفي السكت أقل من حركتين.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1684

- تستحبُّ الاستعاذة بعد القطع، ولا استعاذة في الوقف والسكت.

2- فائدته:

لقد اهتمّ العلماء بعلم الوقف والابتداء، فوضعوا له ضوابط تضبطه، وقيودا تقيِّده، وصنَّفوا في ذلك كتبا، وألَّفوا أسفارا، تدني ما بعُد منه، وتوضِّح ما خفي منه؛ ذلك لأنَّ"في معرفة الوقف والابتداء تبيين لمعاني القرآن العظيم، وتعريف لمقاصده، وإظهار لفوائده، وبه يتهيَّأ الغوص على درره، وفرائده"[8]، وفي هذا الشأن يقول الهذلي في كامله: « فأداء الوقف حلية التلاوة وتحلية الدراية، وزينة القارئ، وبلاغة التالي، وفهم المستمع، وفخر للعالم إذا ثبت ذلك فلابد من معرفة ما يبتدأ به ويوقف عليه»[9].

3- صلة علم الوقف والابتداء بعلوم العربية وعلاقته بالنحو:

لا شك في أنّ "هناك صلة وثيقة بين الوقف وغيره من العلوم مما يجعل طالب الوقف في حاجة ملحة إلى هذه العلوم، حتى يتمكن من معرفة مواطن الوقف والابتداء التي تتفق مع وجوه التفسير والقراءة، وصحَّة اللغة، واستقامة المعنى، من أجل الوصول إلى فهم كتاب الله، ومعرفة معانيه ومقاصده، وإظهار إعجازه"[10]، وفي هذا الشأن يقول السخاوي: «واعلم أنّ معرفة الوقف والابتداء تنبني على معرفة معاني القرآن، وتفسيره، وإعرابه، وقراءاته»[11]، ولا مِرية في أنَّ العلاقة بين الوقف والنحو هي علاقة وطيدة، إذ أنّ"الوقف والابتداء من الموضوعات التي تعتمد فيما تعتمد على النحو"[12]، والقراء والنحاة"عندما حدَّدوا المواضع التي يوقف عليها كانوا يقرنون ذلك بتعليلاتهم، وأكثر ما تتَّصل تلك التعليلات بقواعد النحو وأحكامه"[13]، يقول أبو جعفر النحاس: « ويحتاج -أي صاحب الوقف والابتداء- إلى معرفة بالنحو وتقديراته »[14]، ويقول ابن الجزري: «لا يجوز الوقف على المضاف دون المضاف إليه، ولا على الفعل دون الفاعل، ولا على الفاعل دون المفعول، ولا على المبتدأ دون الخبر، ولا على نحو كان وأخواتها، وإن وأخواتها دون أسمائها، ولا على النعت دون المنعوت، ولا على المعطوف عليه دون المعطوف، ولا على القسم دون جوابه، ولا على حرف دون ما دخل عليه، ولا على الرافع اللفظي دون المرفوع، ولا على الناصب دون المنصوب، ولا على الجارّ دون المجرور، ولا على الجازم دون المجزوم، ولا على المميِّز دون المميَّز، ولا على المفسِّر دون المفسَّر، ولا على ذي الحال دونها، ولا على المستثنى منه دون المستثنى، ولا على المشار به دون المشار إليه، ولا على ذي علة وسبب دونهما »[15].

كما يجدر بنا- أيضا- الاهتمام بالابتداء، والابتداء"هو الشروع في القراءة سواء كان بعد قطع وانصراف عنها أو بعد وقف"[16]، وهو مهمّ جدّا شأنه شأن الوقف؛ ذلك لأنه"يُطلب من القارئ حال الابتداء ما يطلب منه حال الوقف، فلا يكون الابتداء إلا بكلام مستقل موف بالمقصود غير مرتبط بما قبله في المعنى لكونه مختارا فيه بخلاف الوقف فقد يكون مضطرّا إليه، وتدعوه الحاجة إلى أن يقف في موضع لا يجوز الوقف عليه"[17].

وينبغي للقارئ -أثناء الابتداء- أن يهتمَّ بالعلاقات النحوية القائمة بين عناصر الجملة، فلا يفصل بين العامل ومعموله، حيث "لا يجوز له أن يبتدئ بالفاعل دون فعله ولا بالوصف دون موصوفه. ولا باسم الإشارة دون المشار إليه. ولا بالخبر دون المبتدأ ولا بالحال دون صاحبها. ولا بالمعطوف عليه دون المعطوف ولا بالبدل دون

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1684

المبدل منه ولا بالمضاف دون المضاف إليه. ولا بخبر كان وإنّ وأخواتهما دون كان وإنّ وأسمائهما. وهكذا إلى آخر المتعلقات"[18]؛ ذلك لأنّ الحفاظ على العلاقات النحوية بين عناصر الجملة يجعل الكلام مرتبطا بعضه ببعض، فيسهل الفهم، ويتضح المعنى، ويتجلّى الإعجاز، وفي هذا السياق يقول الإمام النووي: «ينبغي للقارئ إذا ابتدأ من وسط السورة أو وقف على غير آخرها، أن يبتدئ من أول الكلام المرتبط بعضه ببعض. وأن يقف على الكلام المرتبط»[19]، "فلا يقطع التلاوة إلا على معنى تام يحسن الاستئناف بما بعده على حدة. وليجعل رائده في كل ذلك توخي الوفاء بالمعنى المراد ما استطاع في البدء والمنتهى"[20]، وهذا الذي بيناه آنفا هو ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم، حيث "كانوا يتجنَّبون في تلاوتهم القطع على الكلام الذي يتَّصل بعضه ببعض، ويتعلَّق آخره بأوله"[21].

4- اعتناء العلماء بعلم الوقف والابتداء:

لقد"اعتنى بتعليم الوقف والابتداء والعمل به المتقدمون والمتأخرون، وألفوا فيه من الدواوين المطولة والمتوسطة والمختصرة ما لا يُعدُّ كثرة"[22]، واللافت للانتباه "أنّ كلّ من ألّف في الوقف والابتداء كان من كبار القراء والنحويين واللغويين، وقلّما نجد إماما في القراءة أو اللغة لم يشارك بالتصنيف في هذا العلم؛ فقد شارك فيه:

من القراء: نافع المدني، وأبو عمرو البصري، وحمزة الزيات الكوفي، والكسائي، ويعقوب الحضرمي، وخلف بن هشام، ويحي اليزيدي.

ومن النحويين: أبو جعفر الرؤاسي أستاذ الكسائي والفراء، ويحي بن زياد الفراء، ومعمر بن المثنى، والأخفش سعيد بن مسعدة، وأبو حاتم السجستاني، وغيرهم.

ولكن أغلب مؤلفاتهم مفقود، وأقدم ما وصلنا من الكتب المؤلفة في هذا العلم كتاب: الإيضاح في الوقف والابتداء لابن الأنباري، وكتاب: "القطع والاستئناف" لابن النحاس، كلاهما محقق ومطبوع"[23].

ثانيا: ترجمة أبي عبد الله الهَبطي:

1- مولده[24]:

ولد أبو عبد الله الهبطي في حدود منتصف القرن التاسع الهجري في مدشر أهباطة، من قبيلة سماته، إحدى قبائل الجبل بشمال المغرب، ولذا جاءت نسبته هكذا: الهبطي السماتي، ويرى بعضهم أن الهبطي نسبة إلى جبال الهبط المعروفة.

2- حياته العلمية[25]:

تعلّم الهبطي في الكتّاب، فحفظ القرآن وجوده، وكانت مدينة القصر الكبير -وقتئذ- من أهم المراكز الثقافية بالمغرب، ولا بدّ أنه درس بها، أو على الأقل أخذ تعليمه الأولي فيها، ثم رحل إلى فاس وأنهى بها دراسته، وتلقى الروايات والقراءات والعلوم الشرعية والعربية وغيرها، وتلقى كبار علماء عصره، ومن شيوخه: أبو عبد الله غازي

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1684

الذي ربما كان آخر من لقيه بفاس، ومن أشهر تلاميذه: أبو عبد الله محمَّد بن علي بن عدة الأندلسي وغيره من الذين أشاعوا مذهبه في الوقف وقيدوه عنه حتى اكتسح أقطار أفريقية كلها.

3- وفاته[26]:

توفي بفاس سنة ثلاثين وتسعمائة 930هـ، ودفن في روضة الزهيري بطالعة فاس.

4- آثاره[27]:

لم يصلنا من آثار الهبطي إلا هذا الوقف الموجود بين أيدي الناس، وهو العنوان البارز للمصحف المغربي، والطابع الشخصي للمدرسة القرآنية بالمغرب حتى وقتنا الحاضر، ويسمى بـ:"أوقاف الهبطي"، وقد طُبع في كتاب بعنوان"تقييد وقف القرآن الكريم"، وسمي بالتقييد؛ لأنه كتبه عنه بعض تلاميذه.

وعلى إثر ما سبق، يمكن طرح تساؤلات محدّدة ينبني عليها هذا البحث، وهي:

1- ما أثر النحو في دلالة الوقف والابتداء عند الهبطي؟

2- ما هي منهجية الهبطي في الوقف والابتداء؟

3- ما الذي يميز الوقف الهبطي عن غيره من الوقوف؟

رابعا: سورة يوسف نموذجا:

1- قوله تعالى:﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف:4].

وقوله تعالى:﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنها جملة كُررت للتوكيد، وإليه نحا الأخفش الأوسط وأبو جعفر الطبري وأبو العباس أحمد الفاسي وغيرهم، يقول الأخفش: «فكرر الفعل وقد يستغني بأحدهما. وهذا على لغة الذين قالوا"ضَرَبْتُ زيْدا ضَرَبْتُهُ"وهو توكيد»[28]، ويقول الطبري:«وقال﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ وقد قيل:﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾، فكرّر الفعل، وذلك على لغة من قال: كلّمت أخاك كلمته، توكيدا للفعل بالتكرير »[29]، ويقول أحمد الفاسي: «وإنما أعاد العامل في ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ لطول الكلام»[30].

وثانيهما: أنه ليس بتأكيد: وإليه نحا الزمخشري والسمين الحلبي وغيرهما، حيث بيّن الزمخشري أنّه كلام مستأنف وذلك بقوله: «فإن قلتَ: ما معنى تكرار رأيت؟ قلت: ليس بتكرار، إنما هو كلامٌ مستأنفٌ على تقدير سؤال وقع جوابا له، كأنَّ يعقوب عليه السلام قال له عند قوله:﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ كيف رأيتَها؟ سائلا عن حال رؤيتها، فقال:﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾»[31]، ويقول السمين الحلبي بعد أن ذكر رأي الزمخشري:«وهذا أظهرُ لأنه متى دار الكلام بين الحمل على التأكيد أو التأسيس فحملُه على الثاني أولى»[32].

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1684

أمّا الهبطي فاختار الوقف على القمر، وابتدأ بـ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾، وفي هذا الوقف والابتداء دلالة على أنّ الهبطي ينحو منحى الزمخشري والسمين الحلبي؛ إذ يرى أنّ ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ ليس تكرارا، وإنما هو كلام مستأنفٌ على تقدير سؤال وقع جوابا له.

2- قوله تعالى:﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف:21].

اختار الهبطي الوقف على﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾، ثم ابتدأ بـ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾، والابتداء باسم الإشارة ((كذلك)) هو من منهج الهبطي، إذ نجده يؤثر الابتداء به ما استطاع إلى ذلك سبيلا، حيث يستقيم له الإعراب والمعنى، واسم الإشارة ((كذلك)) هو"تركيب يفيد التشبيه ومعناه مثل ذلك"[33]، ولهذا قال الرازي في تفسيره:«أي كما أنعمنا عليه بالسلامة من الجبّ مكنّاه بأن عطفنا عليه قلب العزيز، حتى توصل بذلك إلى أن صار متمكّنا من الأمر والنهي في أرض مصر»[34]. وقال السمين الحلبي: « الكاف كما تقدّم في نظائره حال من ضمير المصدر أو نعت له، أي: ومثل ذلك الإنجاء والعطف مكّنّا له، أي: كما أنجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنّا له في أرض مصر»[35]. وأمّا الطاهر بن عاشور فيقول:«إن أجرينا اسم الإشارة على قياس كثير من أمثاله في القرآن كقوله:﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: 143] كانت الإشارة إلى التمكين المستفاد من"مكّنّا ليوسف" تنويها بأنّ ذلك التمكين بلغ غاية ما يطلب من نوعه بحيث لو أريد تشبيهه بتمكين أتم منه لما كان إلا أن يشبه بنفسه على نحو قول النابغة:

والسّفاهة كاسمها[36]

فيكون الكاف في محل نصب على المفعول المطلق. والتقدير: مكنا ليوسف تمكينا كذلك التمكين. وإن أجرينا على ما يحتمله اللفظ كانت لحاصل المذكور آنفا، وهو ما يفيده عثور السيارة عليه من أنه إن جاء له عجيب الحصول بمصادفة عدم الإسراع بانتشاله من الجب، أي مكّنّا ليوسف عليه السلام تمكينا من صنعنا، مثل ذلك الإنجاء الذي نجيناه، فتكون الكاف في موضع الحال من مصدر مأخوذ من مكنا، ونظيره قوله:﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الأنعام: 108]»[37].

3- قوله تعالى:﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:21].

يرى صاحب منار الهدى أنّ"﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ ليس بوقف لحرف الاستدراك بعده"[38]، ذلك"أنّ المشهور في لكنّ أنها للاستدراك"[39]، ويحسن بي هنا أن أذكر معاني "لكنّ" التي ذكرها ابن هشام في المغني، وهي[40]:

– **أحدها**: وهو المشهور أنه واحد وهو الاستدراك، وفسر بأن تنسب لما بعدها حكما مخالفا لحكم ما قبلها؛ ولذلك لا بدّ أن يتقدّمها كلام مناقض لما بعدها، أو ضدّ له.

– **والثاني**: أنها ترد تارة للاستدراك وتارة للتوكيد.

– **والثالث**: أنها للتوكيد دائما مثل إنّ، ويصحب التوكيد معنى الاستدراك.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1684

لقد اختار الهبطي الوقف على﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾، والابتداء بـ﴿وَلَكِنَّ﴾، والابتداء بـ"لكن"كثيرا ما يتعمّده الهبطي، وتخريج هذا، ربما أنّ الهبطي يعتبر "لكنّ" في مثل هذه المواضع"حرف توكيد بمنزلة أنّ"[41]، وفي هذا الشأن يقول الزركشي نقلا عن الفراء:«وأمّا إذا كانت مشددة فإنها تعمل عمل إنّ ولا تكون عاطفة»[42]، وعليه فهي"تفيد التوكيد"[43].

4- قوله تعالى:﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف:23].

كان هذا ردُّ يوسف – عليه السلام- حينما راودته امرأة العزيز عن نفسه، واختار الهبطي الوقف على ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾، و"معاذ الله بمعنى: أعوذ بالله"[44]، يقول سيبويه:«وكأنّه حيث قال: معاذ الله، قال: عياذًا بالله، وعياذًا انتصب على أعوذ بالله عياذا، ولكنّهم لم يظهروا الفعل»[45]، والوقف على﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ يظهر لفظ الجلالة، والوقف على لفظ الجلالة له أثر طيب على النفس؛ لذلك نجد الهبطي يؤثر الوقف عليه ما استقام له الإعراب، فهو"تواق إلى ذلك ما أمكن"[46].

كما اختار الهبطي الابتداء بقوله:﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾، والابتداء بـ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾؛ وذلك لإظهار معنى التوكيد. هذا ما يؤكده أحد الدارسين بقوله:«جاء هذا الرد مؤكدا بـ"إنَّ" في موضعين هما:

- إنه ربي أحسن مثواي: أي إنه سيدي أكرمني وأحسن مثواي عنده وأنعم عليّ.
- إنه لا يفلح الظالمون: أي أنّ الإساءة إلى من أحسن إليّ ظلم.

والقولان جاءا مؤكدين بـ إنَّ»[47].

5- قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: 24].

ففي قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ ثلاثة أقوال قال عامة لأهل العلم[48]:

الأول: همّ بها معناه: قعد منها مقعد الرجل من المرأة، فتمثل له يعقوب عاضًا على إصبعه يقول: يوسف يوسف. فالوقف من هذا المذهب على﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾، والتمام ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾.

الثاني: الأنبياء-عليهم السلام- معصومون لا يعصون ولا يهمون بالكبائر. وقالوا: معنى الآية «لولا أن رأى برهان ربه لهم بها» فالوقف من هذا المذهب على:﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ ثم تبتدئ:﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ أي: لولا أن رأى برهان ربه لهم بها.

الثالث: الهاء كناية عن الفرّة كأنّه قال:«ولقد همت به وهمّ بالفرّة» فعلى هذا المذهب يحسُن الوقف على﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ ويتمُّ على ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾ ولا يتمُّ على ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ لأنّ ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ نسق عليه.

هذا، وقد فنّد ابن تيمية القول الأول بقوله: «وأمّا ما يُنقل من أنَّه حلَّ سراويله وجلس مجلس الرجل من المرأة وأنه رأى صورة يعقوب عاضا على يده وأمثال ذلك فكله مما لم يخبر الله به ولا رسوله، وما لم يكن كذلك فإنما هو مأخوذ عن اليهود الذين هم من أعظم الناس كذبا على الأنبياء وقدحا فيهم، وكل من نقله من المسلمين فعنهم نقله؛ لم ينقل من ذلك أحد عن نبينا صلى الله عليه وسلم حرفا واحدا»[49].

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1684

ولا بأس أن ننقل كلاما لأبي حيان، إذ يقول في البحر المحيط:«﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ طوّل المفسرون في تفسير هذين الهمين، ونسب بعضهم ليوسف ما لا يجوز نسبته لآحاد الفساق. والذي أختاره أنَّ يوسف عليه السلام لم يقع منه همّ بها البتة، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان كما تقول: لقد قارفت لولا أن عصمك الله، ولا تقول: إن جواب لولا متقدم عليها وإن كان لا يقوم دليل على امتناع ذلك، بل صريح أدوات الشرط العاملة مختلف في جواز تقديم أجوبتها عليها، وقد ذهب إلى ذلك الكوفيون، ومن أعلام البصريين أبو زيد الأنصاري، وأبو العباس المبرد. بل نقول: أن جواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه، كما تقول جمهور البصريين في قول العرب: أنت ظالم إن فعلت، فيقدرونه إن فعلت فأنت ظالم، ولا يدل قوله: أنت ظالم على ثبوت الظلم، بل هو مثبت على تقدير وجود الفعل. وكذلك هنا التقدير لولا أن رأى برهان ربه لهم بها، فكان موجدا الهم على تقدير انتفاء رؤية البرهان، لكنه وجد رؤية البرهان فانتفى الهم»[50].

وأيًّا ما كان الأمر، فإنّ الإمام الهبطي قد اختار الوقف على ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾، "وبهذا الوقف يتخلص القارئ من شيء لا يليق بنبيّ معصوم أن يهمّ بامرأة"[51]، ثم ابتدأ ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾، "ويصير﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ مستأنفا، إذ الهمّ من السيد يوسف منفي لوجود البرهان"[52]، وبهذا الاختيار يكون الإمام الهبطي من أصحاب القول الثاني الذين يرَون أنّ الأنبياء معصومون.

6- قوله تعالى:﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (26) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف: 26-27].

اختار الإمام الهبطي الوقف على﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ﴾ وابتدأ ﴿وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، ودلالة ذلك أنّ يوسف-عليه السلام-كان من الصادقين. وفي هذا الشأن يقول أحد الدارسين:«وقوله: وهو من الكاذبين، وهو من الصادقين، جملتان معطوف كل منهما على الجملة الفعلية التي قبلها، أو كل منهما حال على الترتيب من ضمير فاعلي صدقت، وكذبت، فكان ينبغي وصلهما بما عطفتا عليه، أو بصاحب الحال، فما وجه وصل الهبطي إحداهما بما قبلها، وفصل الأخرى عما عطفت عليه، أو مما هي حال منه؟ يبدو أنه رمى بذلك إلى إخراج جملة وهو من الصادقين عن كونها حالا أو معطوفة إلى الاستئناف إمعانا في إبعاد الشبهة عن يوسف عليه الصلاة والسلام، أو ليدلّ على أنّ هذا ليس من كلام الشاهد، وله وجه بعيد: كأن يقال يلزم من كذبها صدقه، فيستغنى عن ذكر صدقه »[53].

وللهبطي في هذا الوقف سلف، فقد قال ابن الجزري:«ومن ذلك اختار بعض الوقف على ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ﴾ والابتداء ﴿وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ إشعارا بأنّ يوسف- عليه السلام- من الصادقين في دعواه»[54].

7- قوله تعالى:﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف: 53].

قوله تعالى:﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ فيه أوجه[55]:

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1684

أحدها: أنه مستثنى من الضمير المستكن في "أمّارة" كأنه قيل: إنّ النفس لأمّارة بالسوء إلا نفسا رحمها ربي، فيكون أراد بالنفس الجنس، فلذلك ساغ الاستثناء منها .

والثاني: أنّ "ما" في معنى الزمان فيكون مستثنى من الزمن العام المقدر. والمعنى: إن النفس لأمارة بالسوء في كل وقت وأوان إلا وقت رحمة ربي إياها بالعصمة.

والثالث: أنه مستثنى من مفعول "أمارة"، أي: لأمارة صاحبها بالسوء إلا الذي رحمه الله.

والرابع: أنه استثناء منقطع، وهو قول الجمهور. أي: ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة.

و"الوقف على﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ فيه حذف، أي: وما أبرئ نفسي عن السوء، والوقف على ﴿لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ أحسن، على أنّ الاستثناء منقطع، أي: ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة، وليس بوقف إن جعل متصلا مستثنى من الضمير المستكن في أمارة بالسوء، أي: إلا نفسا رحمها ربي، فيكون أراد بالنفس الجنس، وفيه إيقاع (ما) على من يعقل"[56].

أمّا الهبطي فقد اختار الوقف على ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾، والابتداء بقوله:﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾، وهذا الابتداء يوضح معنى التوكيد الذي يدلّ عليه"إنّ"و"اللام"، كما اختار-أيضا- عدم الوقف على ﴿بِالسُّوءِ﴾ ووصل الكلام بعضه ببعض والوقف على ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾، وهذا يُفهم منه أنّ الهبطي لا يرى برأي الجمهور، أي أنه لا يرى هنا بوجود الاستثناء المنقطع، ويكون معنى الآية حينها: إنّ النفس لأمارة بالسوء إلا نفسا رحمها ربي، أو إلا الذي رحمه الله، وهذا من المعاني الخفية، وهو الذي كان يقصده الهبطي من خلال هذا الوقف والابتداء.

8- قوله تعالى:﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [يوسف: 59].

اختار الإمام الهبطي الوقف على ﴿مِنْ أَبِيكُمْ﴾، والابتداء بالاستفهام ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾، وفي الابتداء بالاستفهام ﴿أَلَا تَرَوْنَ﴾"ترغيب لهم في العود إليه"[57]، يقول الرازي:«واعلم أنه عليه السلام لما طلب منهم إحضار ذلك الأخ جمع بين الترغيب والترهيب. أمّا الترغيب: فهو قوله:﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾، وأمّا الترهيب: فهو قوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ [يوسف: 60]»[58]. ومما يدلُّ على الترغيب -أيضا- "مجيء الفعل"أوفي"بصيغة الاستقبال مع كونه قال لهم هذه المقالة بعد تجهيزهم للدلالة على أنّ ذلك عادته المستمرة"[59].

9- قوله تعالى:﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 77].

اختار الهبطي الوقف على﴿مِنْ قَبْلُ﴾، كما اختار- أيضا- الوقف على﴿وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾، إلاّ أنّ بعض العلماء"لا يجوزنه؛ لأنّ ما بعده يفسر الضمير في أسرّها"[60]. قال ابن كثير في تفسيره:«وقوله:﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1684

نَفْسِهِ﴾ يعني: الكلمة التي بعدها، وهي قوله:﴿⇦أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾»[61]، وفي هذا الشأن يقول الطاهر بن عاشور:«ويجوز أن يكون ضمير الغيبة في ﴿فَأَسَرَّهَا﴾ عائد إلى ما بعده وهو قوله:﴿♦قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا﴾، وبهذا فسر الزجاج والزمخشري، أي قال في نفسه، وهو يشبه ضمير الشأن والقصة، لكن تأنيثه بتأويل المقولة أو الكلمة، وتكون جملة ﴿♦قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا﴾ تفسيرا للضمير في أسَرها»[62]،"وهذا من باب الإضمار قبل الذكر، وهو كثير، كقول الشاعر[63]:

جَزى بنُوه أَبا الغَيْلانِ عن كبَرٍ ... وحسْن فِعْلٍ كما يُجزى سِنمَّارُ

وله شواهد كثيرة في القرآن والحديث واللغة، في منثورها وأخبارها وأشعارها"[64].

ووقف الهبطي السابق يُفهم منه معنى آخر غير المعنى الذي سبق ذكره، ألا وهو أنّ يوسف–عليه السلام– قد أسّر في نفسه كراهية قول إخوته:﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾،"أي: أسّر كراهية مقالتهم، إذ وجد حزازة في نفسه"[65]، وفي هذا الشأن يقول صاحب التحرير والتنوير:«وقوله:﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ﴾ يجوز أن يعود الضمير البارز إلى جملة ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ على تأويل ذلك القول بمعنى المقالة (...)، ويكون معنى "أسرها في نفسه" أنّه تحمّلها ولم يظهر غضبا منها، وأعرض عن زجرهم وعقابهم مع أنها طعن فيه وكذب عليه، وإلى هذا التفسير ينحو أبو علي الفارسي وأبو حيان، ويكون قوله:﴿♦قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا﴾ كلاما مستأنفا حكاية لما أجابهم به يوسف–عليه السلام– صراحة على طريقة حكاية المحاورة، وهو كلام موجه لا يقتضي تقرير ما نسبوه إلى أخي أخيهم ، أي أنتم أشدّ شرا في حالتكم هذه لأنّ سرقتكم مشاهدة وأمّا سرقة أخي أخيكم فمجرد دعوى»[66].

ويقول صاحب البحر المحيط:«والضمير في قوله: فأسّرها يفسره سياق الكلام أي: الحزازة التي حدثت في نفسه من قولهم (...)، والظاهر من قوله: أنتم شر مكانا، خطابهم بهذا القول في الوجه، فكأنه أسّر كراهية مقالتهم، ثم بخهم بقوله: أنتم شر مكانا»[67]، وهذا الذي ذهب إليه الهبطي هو من التفاسير الخفية، وله فيه سلف.

10– قوله تعالى:﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 90].

اختار الهبطي الوقف على﴿وَهَذَا أَخِي﴾ والابتداء بـ﴿قَدْ﴾؛ وذلك لإظهار التوكيد،"وقد مع الفعل الماضي تكون حرف تحقيق"[68]، "وتحقيق الشيء يعني تأكيد حدوثه"[69].

والابتداء بـ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ يظهر معنى التوكيد، كما أنه يشعر أنّ هذا الكلام ليس من تمام الكلام السابق، وفي هذا الشأن يقول أحد الدارسين:«فوقفه هذا يحتمل أن يكون سببه اعتبار الكلام استئنافا فيكون من كلام الله تعالى لا من تمام كلام يوسف عليه السلام»[70].

11– قوله تعالى:﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: 92].

تكلّم المفسرون والنحاة كثيرا عن هذا الوقف، وسببه هو تعلق "اليوم"، وبحسب تعلقه يكون المعنى، قال الزمخشري: «فإن قلت: بم تعلق اليوم؟ قلت: بالتثريب، أو بالمقدر في عليكم من معنى الاستقرار. أو بـ: يغفر.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1684

والمعنى: لا أثربكم اليوم، وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب، فما ظنكم بغيره من الأيام، ثم ابتدأ فقال يغفر الله لكم فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم»[71]، وقد تعقبه أبو حيان بقوله: «أما قوله: إن اليوم يتعلق بالتثريب، فهذا لا يجوز، لأن التثريب مصدر، وقد فصل بينه وبين معموله بقوله: وعليكم إما أن يكون خبرا، أو صفة لتثريب، ولا يجوز الفصل بينهما، لأن معمول المصدر من تمامه. وأيضا لو كان اليوم متعلقا بتثريب لم يجز بناؤه»[72]، ويرجّح ابن عطية الأندلسي الوقف على"اليوم"، والابتداء بـ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾، حيث يقول في تفسيره:«ووقف بعض القراءة"عليكم" وابتدأ﴿الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ﴾، ووقف أكثرهم:"اليوم"وابتدأ ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ على جهة الدعاء، واليوم ظرف، فعلى هذا فالعامل فيه ما يتعلق به عَلَيْكُمُ تقديره: لا تثريب ثابت أو مستقر عليكم اليوم. وهذا الوقف أرجح في المعنى، لأن الآخر فيه حكم على مغفرة الله، اللهم إلا أن يكون ذلك بوحي»[73].

وما رجّحه ابن عطية هو اختيار الأخفش وابن كثير، يقول الأخفش:«﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ وقَفٌ ثم استأنف فقال:﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فدعا لهم بالمغفرة مستأنفا»[74]. ويقول ابن كثير:«ومن زعم أنّ الوقف على قوله: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ وابتدأ بقوله:﴿الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ﴾ فقوله ضعيف والصحيح الأول»[75]؛ ذلك لأنّ"الوقف على كلمة اليوم أولى وأحسن وأليق، وأنّ أكثر القراء عليه، وجملة يغفر دعائية إذ يبعد على يوسف – عليه السلام– أن يقولها بقصد الإخبار بالمغفرة من الله، ولو لم تكن الجملة بقصد الدعاء لقطعوا بالمغفرة لهم بمجرد سماعها من أخيهم الصديق، ولم يقولوا لأبيهم استغفر لنا"[76]، ويؤيد هذا حديث يذكره أهل السير، وهو قوله– صلى الله عليه وسلم–:«يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟" قالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم، قال:"فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء»[77].

وأيّا ما كان الأمر، فإنّ الهبطي قد اختار الوقف على﴿عَلَيْكُمْ﴾، وابتدأ ﴿الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لكم﴾، وفيه حُكم على مغفرة الله لهم، وهو الذي كان يرومه الهبطي من خلال هذا الوقف والابتداء، ويؤيّد هذا المعنى الإمام ابن عاشور بقوله:«والظاهر أنّ منتهى الجملة هو قوله:﴿عَلَيْكُمْ﴾، لأنّ مثل هذا القول مما يجري مجرى المثل فيبنى على الاختصار فيكتفي بـ:"لاتثريب"مثل قولهم: لا باس، وقوله تعالى:﴿لا وزر﴾ [القيامة: 11]، وزيادة"عليكم" للتأكيد مثل زيادة"لك"بعد"سقيا ورعيا"، فلا يكون قوله:﴿الْيَوْمَ﴾ من تمام الجملة ولكنه متعلق بفعل﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لكم﴾، وأعقب ذلك بأن أعلمهم بأنَّ الله يغفر لهم في تلك الساعة لأنها ساعة توبة، فالذنب مغفور لإخبار الله في شرائعه السالفة دون احتياج إلى وحي سوى أن الوحي لمعرفة إخلاص توبتهم»[78]، وللجمع بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ [يوسف: 97] قال أحد الدارسين: «ويحتمل أن يقال: إنما أراد مغفرة ما يرجع إلى حقه دون حق أبيه، إذ الإثم كان مشتركا بينهما»[79]، حيث وصف الله لنا حالة يعقوب– عليه السلام– بقوله:﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَا عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: 84].

12– قوله تعالى:﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: 108].

وفيها وجهان[80]:

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1684

– **أحدهما:** بعضهم اختار الوقف على﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾، وبهذا يكون الضمير أنا توكيدًا لما في ﴿أَدْعُوا﴾، و﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ صلة ﴿أَدْعُوا﴾. و﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ عطف على المرفوع بـ ﴿أَدْعُوا﴾، والمعنى: أي أنا أدعو إلى الله على بصيرة لا على غير بصيرة. ومن اتبعني كذلك يدعو إلى الله على بصيرة.

– **ثانيهما:** وبعضهم الآخر آثر الوقف على ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ﴾، وهو وقف كاف، ثم ابتدأ:﴿عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾، ويكون ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ في موضع رفع بالابتداء والخبر ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾، أي أنا وأتباعي على بصيرة.

والوجه الثاني هو اختيار الهبطي، وهو من التفاسير الخفية، وله وجه صحيح في اللغة والنحو، وبه قال جماعة من العلماء، ممّا يدلُّ على اطّلاع الهبطي على آراء النحاة والمفسّرين.

أمّا ابن القيم فيرى أنّ الوجهين متلازمان، يقول ابن القيم: «فالقولان متلازمان، فإنه أمره سبحانه أن يخبر أن سبيله الدعوة إلى الله، فمن دعا إلى الله تعالى فهو على سبيل رسوله صلى الله عليه وسلم، وهو على بصيرة، وهو من أتباعه، ومن دعا إلى غير ذلك فليس على سبيله ولا هو على بصيرة ولا هو من أتباعه»[81].

خاتمة:

وفي الختام سأذكر أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وهي:

1- يعتمد الوقف الهبطي على المعنى والإعراب، خلافا للوقف السُّنّي الذي يعتمد على رؤوس الآي.

2- يعتمد الوقف الهبطي- غالبا- على المعاني والتفاسير الخفية.

3- يعتمد الوقف الهبطي على الإعراب الخفي.

4- من منهجية الهبطي الابتداء باسم الإشارة"كذلك".

5- من منهجية الهبطيالابتداء ب ."لكن"، وتخريج هذا، أنّه يعتبر"لكن"في مثل هذه المواضع حرف توكيد بمنزلة"أنّ".

6-من منهجية الهبطي الوقف على لفظ الجلالة "الله"، وذلك ما استقام له المعنى والإعراب، فهو تواق إلى ذلك ما أمكن.

7- من منهجية الهبطي الابتداء بـ"إنّ"؛ وذلك لإظهار معنى التوكيد.

8- قد يكون الدافع عند الهبطي هو الانتصار لرأي في التفسير، كالابتداء بقوله تعالى:﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾.

9- من منهجية الهبطي الابتداء بالاستفهام؛ وذلك لإظهار معنى الاستفهام، فيكون له وقع على النفس.

10- من منهجية الهبطيالابتداء بـ "لقد" و"قد"؛ وذلك لإظهار التوكيد.

الهوامش:

1انظر: أبو عبد الله بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط 1، 1376، ج 1، ص 342.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1684

2انظر: أبو عبد الله السجاوندي، علل الوقوف، تح: محمد بن عبد الله بن محمد العيدي، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط 2، 1427، ج 1، ص 3.

3انظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، ج1، ص 225.

4انظر: الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 1، 1403، ص 253.وانظر أيضا: أبو البقاء الكفوي، الكليات، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 940.

5أحمد بن عبد الكريم الأشموني، منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، تح: شريف أبو العلا العدوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1422، ص 24.

6النشر في القراءات العشر، ج 1، ص 240. انظر أيضا: أبو طاهر عبد القيوم السندي، صفحات في علوم القراءات، المكتبة الأمدادية، ط 1، 1415، ص 267.

7انظر: صفحات في علوم القراءات، ص 283.

8انظر: أبو الحسن السخاوي، جمال القراء وكمال الإقراء، تح: مروان العطيَّة و محسن خرابة، ط1، 1418، ص 673.

9أبو القاسم الهذلي، الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها، تح: جمال بن السيد الشايب، مؤسسة سما للتوزيع والنشر، ط1، 1428، ص 132.

10عبد الله بن سالم الشمالي، وقوف القرآن وعلاقتها بالمعنى والتركيب، مخطوط دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، 1425هـ، ص20.

11جمال القراء وكمال الإقراء، ص 773.

12يونس علي يونس، مقدمة في الوقف والابتداء مصطلحاته وعلاقته بالنحو، دراسات في اللغة العربية وآدابها، سمنان، إيران، تشرين، سورية، العدد الرابع، 2011، ص 131.

13المرجع نفسه، ص 132.

14أبو جعفر النحاس، القطع والائتناف، تح: عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية، ط 1، 1413، ص 19.

15انظر: النشر في القراءات العشر، ج 1، ص 230،231. وانظر أيضا: أحمد بن محمد القسطلاني، لطائف الإشارات لفنون القراءات، تح: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، السعودية، ج2، ص506، 507.

16عطية قابل نصر،غاية المريد في علم التجويد، الناشر: القاهرة، مصر، ط 7،ص 233.

17عبد الفتاح المرصفي، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، مكتبة طيبة، المدينة المنورة ، السعودية، ط 2، ج 1، ص 392.

18المرجع نفسه، ج 1، ص 392- 393.

19أبو زكريا النووي، التبيان في آداب حملة القرآن، تح: محمد الحجار، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان، ط 3، 1414، ص 115.

20هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، ج 1، ص 401.

21أبو عمرو الداني، شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني، تح: غازي بنيدر العمري، ج2، ص 425.

22انظر: أبو الحسن النوري الصفاقسي، تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين، تح: محمد الشاذلي النيفر، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، ص 128.

23انظر:صفحات في علوم القراءات، ص 270.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1684

24انظر: سعيد اعراب، القراء والقراءات بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1410، ص 176. وانظر أيضا: إلياس بن أحمد البرماوي، إمتاع الفضلاء بتراجم القرّاء فِيما بعد القرن الثامن الهِجري، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1421هـ، ج 2، ص 251.

25انظر: القراء والقراءات بالمغرب، ص176-177. وانظر أيضا: محمد بن جعفر الكتاني، سلوة الأنفاس، تح: عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1425هـ، ج 2، ص 76. وانظر أيضا: إمتاع الفضلاء بتراجم القرّاء فِيما بعد القرن الثامن الهِجري، ج 2، ص 251- 252.

26انظر:القراء والقراءات بالمغرب، ص177، وانظر أيضا: محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تح: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1424هـ، ج1، ص401. أحمد بابا التنبُكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح: عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، ط2، 2000، ص 586.

27انظر:القراء والقراءات بالمغرب، ص 177، وانظر أيضا: إبراهيم بن سعيد الدوسري، مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات، دار الحضارة للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1429هـ، ص140. وانظر أيضا: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج1، ص401.

28أبو الحسن الأخفش الأوسط، معاني القرآن، تح: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1411، ج1، ص394.

29أبو جعفر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1422، ج13، ص11.

30أبو العباس أحمد الفاسي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، مصر، 1419،ج2، ص572.

31الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي ، بيروت، لبنان، ط3، 1407 هـ، ج2، ص443-444.وانظر أيضا: أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج4، ص252. وانظر أيضا: إبراهيم بن إسماعيل الأبياري، الموسوعة القرآنية، مؤسسة سجل العرب، 1405 هـ، ج10، ص 119.

32السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، سوريا، ج6، ص437.

33انظر: فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، شركة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، مصر، ج1 ، ص 98.

34 فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، ج 18،ص 435.

35الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج 6، ص 461.

36البيت بتمامه: نَبِئتُ زُرعَة، والسّفاهة كاسمها...يُهدي إليَّ غرائب الأشعارِ. النابغة الذبياني، ديوان النابغة، تح: حنا نصر الحِتّي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1411، ص 102.

37محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ، لبنان، ط1، 1420، ج 12، ص 42-43.

38منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، ص 390.

39معاني النحو، ج 1، ص 282.

40انظر: ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، سورية، ط 6، 1985، ص 383.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1684

41إبراهيم عناني عطية عناني، البرهان في علوم القرآن للإمام الحَوفيّ – سورة يوسف دارسة وتحقيقا، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، جامعة المدينة العالمية، كلية العلوم الإسلامية قسم القرآن الكريم وعلومه، ماليزيا، 1436هـ، ص 158.

42البرهان في علوم القرآن، ج 4، ص 391.

43انظر: معاني النحو، ج 1، ص 282.

44انظر: مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت، لبنان، ط 28، 1414، ج 3، ص 41.

45سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 3، 1408، ج 1، ص 322.

46انظر: بن حنفية العابدين، منهجية ابن أبي جمعة الهبطي في أوقاف القرآن الكريم، دار الامام مالك، باب الوادي، الجزائر، ط 1، 2006، ص 100.

47رائد عماد أحمد، أسلوب التوكيد في سورة يوسف: دراسة نحوية، آداب الرافدين، العدد 53، 1430هـ، ص 8.

48انظر: أبو بكر الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء، تح: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سورية، 1390، ج2، ص 720، 721.

49مجموع الفتاوى، ج 10، ص 297.

50أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1420هـ ، ج 6، ص 258.

51منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، ص 390.

52المرجع نفسه، ص 390.

53منهجية ابن جمعة الهبطي في أوقاف القرآن الكريم، ص 117.

54النشر في القراءات العشر، ج1،ص 233، 234. وانظر أيضا: مساعد بن سليمان الطيار، وقوف القرآن وأثرها في التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1431هـ، ص 280.

55انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: الخراط، ج6، ص515.

56انظر: منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، ص 394.

57التحرير والتنوير، ج 15، ص 85.

58مفاتيح الغيب، ج 18، ص 478.

59انظر: محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب ، دمشق، بيروت، ط 1، 1414هـ، ج 3، ص 45.

60انظر: منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، ص 369.

61تفسير القرآن العظيم، ج4، ص403.

62التحرير والتنوير، ج 12، ص 102.

63نسبوا هذا البيت لسليط بن سعد، والبيت من شواهد ابن عقيل في شرحه على الألفية لابن مالك برقم (153). انظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، دار مصر للطباعة ، سعيد جودة السحار وشركاه، ط 20، 1400، ج 2، ص 109.

64تفسير القرآن العظيم،ج4، ص403.

65البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ج 2، ص 617.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1684

66التحرير والتنوير، ج 12، ص 101، 102.

67البحر المحيط،ج6، ص 308، 309.

68انظر: أحمد بن عبد النور المالقي، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تح: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سورية، ص 392.

69أسلوب التوكيد في سورة يوسف، ص17.

70منهجية ابن أبي جمعة الهبطي في أوقاف القرآن الكريم، ص 121.

71الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج2، ص503.

72البحر المحيط، ج6، ص321.

73ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1422، ج3، ص278.

74معاني القران، ج1، ص399، 400.

75ابن كثير، قصص الأنبياء، تح: مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف، القاهرة، مصر، ط1، 1388، ص 349.

76انظر: عبد القادر بن ملّا العاني، بيان المعاني، مطبعة الترقي، دمشق، سورية، ط1، 1382، ج3، ص 254.

77شمس الدين ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط 27، 1415، ج 3، ص359. وقد ضعّف هذا الحديث الشيخ الألباني، انظر: محمد الغزالي، فقه السيرة، تح: محمد ناصر الدين الألباني، دار القلم، دمشق، سورية، ط7، 1998، ص382.

78التحرير والتنوير، ج 12، ص 114.

79الكشاف، ج 2، ص 502، الهامش: 3.

80انظر: ايضاح الوقف والابتدا، ج 2، ص 728- 729، وانظر أيضا: المكتفى في الوقف والابتدا، ص 106.

81شمس الدين ابن قيم الجوزية، جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، تح: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة ، الكويت، ط 2، 1407، ص 415.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1684